

التكبر عيب متوارث من عصر إلى آخر

على المتكبرين الاستعانة ببروميثيوس وقراءة كانط وهيجل



التكبر وهم خطير على الذات والآخر (لوحة للفنان بسيم الرئيس)

في المحافل الدولية، حتى ليصبح أن يقال لهم ما قاله جرير "فغض الطرف إنك من نمير/ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً". يقول الفرنسي ميكائيل فوسيل، أستاذ الفلسفة بمدرسة البوليتكنيك "أنا محظوظ لأنني عادة ما يقع تقديمي في وسائل الإعلام كـ فيلسوف، وهي صفة يمكن أن تغذي في نوعاً من التكبر. ولكي أقي نفسي منه، أقرأ صفحة لكانط أو هيجل، ففكسون كافية لإقناعي بالطريق الذي ما زال أمامي كي أصبح فعلاً فيلسوفاً. كل واحد يمكن أن يجري تجارب مماثلة، أن يواجه من هو أكبر منه قذراً دون أن يشعر بالضعف. بالعكس، سوف يجد الفرح في عظيمة الآخرين".

وحسبنا أن نطالع ما ينشر في فيسبوك لنعرف مقدار التعالي والزهو والخلاء التي انتشرت انتشار جائحة كوفيد - 19. قد يُعيب التكبر من بداويه إذ استفحل بصاحبه، والخير أن يعالج منذ الصغر، في المدارس، بأمثلة من الخرافات والحكايات والأشعار التي تدين للأطفال التكبر الواقع في شراك خيالاته. أما الكبار فلا علاج لهم إلا متى وعوا بأن علو شأنهم في بيئة ما ليس بالضرورة هو نفسه في فضاء أوسع، فكم من عظيم في عشيرته انهزم عند أول نزال مع من يفوقه عظمة في عشيرة أخرى، كنجوم الكرة العرب، الذين سرعان ما تخبو أنوارهم وتطفئ عند لقاء الفرق الغربية



لا يهمني ما دمت لسئ مبعثه ولا نهايته. التكبر لا يصيب الإنسان العادي وحده، بل يصيب المفكرين أيضاً، باسم المعرفة، مثل ميشيل أونفري الذي يدعي أن له القدرة على إلغاء مفكرين أمثال كانط وماركس وفرويد بمجهوده الخاص، ويوهم مستمعيه وقراءه بأنهم سيكونون بفضلهم أمام الحقيقة الحق. وهذا شبيه بما أسماه أحدهم "تكبر الحاضر" التي يعتقد دعائه أن الأزمنة الراهنة لا تدين بشيء للماضي، وأن البشر اليوم ليس لهم أي دين تجاه من سبقوهم على الأرض، وأن العالم سيكون فقط ما سوف يفعلون به. ما يعني ألا شيء يفوقهم، حتى في القرون الغابرة.

ولا يعني ذلك أن العلم في حد ذاته متكبر، بل الذنب في ما يرافقه من شعور بالعظمة، يتبدى في خطاب المتخصصين حين يزعمون سن قانون الواقع، فالتكبر لا يعترف أبداً بأنه لا يدري، ويأثم ثمة نقاطاً غامضة في سيرته، على غرار ما نلاحظه في الخطابات الاقتصادية المتمركزة حول التنافس الدائم.

إلغاء الماضي

ثمة أيضاً تكبر ما بعد حدائني، يتجلى في جبل يعلن جهله بلا حياء، بدل الاتكاء على معرفة تمحو عنه ذلك الجهل، إذ عادة ما يقول شباب العالم الرقمي: ما أجعله

التكبر قديم قدم الوجود البشري على الأرض، تناوله علماء النفس والفلاسفة بالدرس، وقدم عنه الكتاب أمثلة تعري شذوذه وعواقبه، ولكنه أضحى اليوم سمة من سمات هذا العصر، ونوعاً من الباتولوجيا التي تصيب المرء عندما يحوز مركزاً اجتماعياً مرموقاً، يعطيه نوعاً من النفوذ على من هم دونه، أو يوهمه بعض من حوله بأنه يفوق المتقدمين والمتأخرين نباهة ومعرفة وموهبة.

الكلام، بل يعتقد اعتقاداً راسخاً أن كلامه هو الوحيد الذي له ما يبهره، وهذا ما نشاهده في منابر وسائل الإعلام، مع محللين ومعلقين يداومون الثرثرة للدلالة على عمق معرفتهم ودرابتهم بكل شأن وإمامهم بكل صغيرة وكبيرة في شتى المواضيع المطروقة، من الرياضة إلى الدين، ومن الفن إلى السياسة، ومن الأب إلى الاقتصاد، كي يبرروا استحوادهم على الكلمة واستفراهم بها، لأن التكبر لا يسكت أبداً، ولا ينصت أبداً، فهو يخوض في كل مناسبة معركة دونكيشوتية للبرهنة على تفوقه.

فوق الوجود

قد يبلغ التكبر بصاحبه حد تحدي الذات الإلهية، كشخصية دون جوان الذي أكد أن قانونه الأوح كامن في رغبته، وأنه يمكن أن يتحدى الرب في الإغراء، ولكنه لم يلبث أن اكتشف بعد فوات الأوان تناهيه، وأنه منذور للموت والفناء شأن سائر المخلوقات. ومثل هذا حاضر في سرديات القديس أوغستين وحديثه عن كبره كخطيئة كبرى ولو أن علوه قاده في النهاية إلى الوعي بالحدود التي وضعها الرب.

لقد ساهم التطور التكنولوجي في تغذية مشاعر التكبر لدى إنسان هذا العصر، لأن التقنية تغيب لديه الشعور بكيونته فوق الوجود المادي، فما حاجته إلى ذات إلهية عليا إذا صار قادراً على صنع آلة توفر له ما يريد، بالحجم الذي يريد.

عندما سرق بروميثيوس النار من الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية، كان في حالة كبر إيجابية، في حين أن من يتكبر تقنية اليوم لا يشعر أنه يسرق أي شيء، ما يوهمه بأن العالم من صنع يديه، وأن هذا العالم لا شيء سوى ما يفعله الإنسان به. ولعل أكبر تكبر هو تيار "ما بعد الأنسنة" transhumanisme الذي يسعى دعائه إلى الانتصار على الموت.



التكبر في علم النفس عُجِبَ وخيلاء حد العجرفة، يتبدى في الخطاب الفجّ الوقح، والسلوك المتعالي الذي يوهم من خلاله صاحبه أنه فوق الجميع، لا أحد يضاهيه أو يبلغ مقامه. ولذلك كانت كل الأديان تحث على التواضع لأن التكبر هو الله وحده، المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم.

وكان التكبر في شرعنا خطيئة، لأنه نوع من التحدي للذات الإلهية، ولكن عندما تغيب أو تزول فكرة "المفارق" على رأي كانط (وكان استعمل تلك الصفة للدلالة على سمو الله على المخلوقات ومفارقة لها) تتحول الكبرياء إلى تكبر (وفيها معنى التعظم والامتناع عن قبول الحق معاندة) لا يراد منه المتصف به تحدي الذات الإلهية بل تحدي إنسان مثله؛ فباسم نجاحه الاجتماعي، يعتقد أن الآخرين لا قيمة لهم أمامه، على غرار البرجوازي في تصرفه تجاه من لا يملك.

التطور التكنولوجي غذى مشاعر التكبر لدى الإنسان المعاصر، لأن التقنية منحته الشعور بكيونته فوق الوجود المادي

التكبر لا يقنع بالقول إنه لا يدين بنجاحه لأحد، بل يسعى لإقناع الآخرين بأن مركزه ليس وليد صدفة، بل هو دليل على أنه أكثر جدارة من غيره، متجاهلاً الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مكنته مما لم يحصل عليه غيره، دون أن يكون ذلك الآخر دونة جدارة بالضرورة. والتكبر لا يعتبر فقط أن له الحق في

ألبرتو مانغويل يحكي عن سنواته الأربع مع بورخيس

وقد تعرف مانغويل على بورخيس سنة 1964 في مكتبة "بيغاليون" ببوينوس آيريس التي كان يعمل بها مساء ككاتب عقب فراغه من الحاصل الدراسية بالثانوية، ومنذ ذلك اللقاء وحتى سنة 1968، لم يتوقف عن زيارة بورخيس في منزله أربع ليالٍ كل أسبوع ليقرأ له ما يريد بصوت مرتفع. ولد المؤلف ألبرتو مانغويل سنة 1948 في بوينوس آيريس، وهو أرجنتيني المولد وكندي الجنسية، عين مؤخراً مديراً للخزانة الوطنية التي سبق لبورخيس أن كان مديراً لها أيضاً ما بين 1955 و1973، ويعتبر من جامعي الأعمال الأدبية الهامة، ويعمل أيضاً ناشراً ومترجماً وكاتباً، ومن أبرز مؤلفاته "مدينة الكلمات"، "تاريخ القراءة"، "مكتبة الليل"، و"مع بورخيس". هذا الكاتب الأرجنتيني الذي يعد من أبرز كتاب القرن العشرين، كان مترجماً بارعاً للآداب من الإنجليزية والفرنسية والألمانية إلى الإسبانية، ونال من خلال قصصه القصيرة شهرة كبيرة، وكتب الشعر والمقالات والعديد المسرحيات وكما كبيرا من النقد الأدبي والافتتاحيات وتعقيبات على عدد من الكتب ومن المختارات الأدبية.

أما المترجم والكاتب إبراهيم الخطيب فهو أستاذ جامعي وناقد أدبي مهتم بالإبداعات المكتوبة بالإسبانية إذ سبق له أن ترجم إلى اللغة العربية ثلاث روايات صادرة عن دار الفكر للكتاب الإسباني خوان غويتسولوبو، كما ترجم لبورخيس قصتين، "الرايا والمناهاة" و"الدنو من العتمص" وديواناً شعرياً بعنوان "مدح العتمة".

في ستينات القرن الماضي، وقرأ له وسمع منه ورافقه في جولاته، فأصدرت "أكت سود" سنة 2003 الكتاب ضمن سلسلة بعنوان "مكان للذهاب" (أوندروا أو ألي). وكتب مانغويل كتابه بالإنجليزية وترجمته كريستين إلى الفرنسية، ثم صدر في طبعة أخرى سنة 2005 ضمن سلسلة كتب الجيب "بابل" لنفس الناشر، وعندما قررت دار النشر الأرجنتينية "سيغلو فابيتيونو" طبع الكتاب سنة 2016، أسندت ترجمته إلى الإسبانية للكاتب الأرجنتيني إدوارد بيرتي الذي يجيد الفرنسية ويكتب بها أحياناً.

واستحضر مانغويل في هذا الكتاب ذاكرة المراهق الذي كانه في تلك السنوات الأربع التي قضاهما رفقة بورخيس واستعاد فيها لحظات ومواقف كثيرة اعتبرها استثنائية وحاسمة في حياته. وكتب، الذي يقع في 99 صفحة من القطع المتوسط، سرد تحصيلي للقاءات أجراها المؤلف مانغويل مع الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس (1899 - 1986)، والتي لم تخل من صدف وأحاديث جانبية على مائدة الطعام وخلال جولات قاما بها في شارع فلوريدا بالعاصمة الأرجنتينية بوينوس آيريس، وزيارات كتاب آخرين، وكذا خلال مشاهدة عدد من الأفلام.

الذي من خلاله عبّرت القصيدة النبطية إلى خارج حدود منطقة الخليج العربي، لتصل خلال العقود القليلة الماضية، إلى مختلف الدول العربية القريبة منها والبعيدة وجعلها تطل على مساحة كبيرة من حوله، بعدما استطاعت هذه القصيدة أن تحتل مكانتها التي تستحق في مجتمعاتها، إذ شكلت في وقت من الأوقات ذاكرة تلك المجتمعات، ورصيد البلاغة، وصوت الأدب الشعبي فيها. وتضمن العدد استطلاعاً موسعاً لآراء عدد من الشعراء الذين أكدوا على مكانة وقيمة القصيدة النبطية في مجتمعاتهم، واعتبارها بطاقة عبور إلى أعماق تلك المجتمعات. وقد أصبحت تلك القصيدة نصاً يصنع الكثير من الأصداء حوله.

مجلة «شاعر المليون» تحتفي بالقصيدة النبطية

والذي من خلاله عبّرت القصيدة النبطية إلى خارج حدود منطقة الخليج العربي، لتصل خلال العقود القليلة الماضية، إلى مختلف الدول العربية القريبة منها والبعيدة وجعلها تطل على مساحة كبيرة من حوله، بعدما استطاعت هذه القصيدة أن تحتل مكانتها التي تستحق في مجتمعاتها، إذ شكلت في وقت من الأوقات ذاكرة تلك المجتمعات، ورصيد البلاغة، وصوت الأدب الشعبي فيها. وتضمن العدد استطلاعاً موسعاً لآراء عدد من الشعراء الذين أكدوا على مكانة وقيمة القصيدة النبطية في مجتمعاتهم، واعتبارها بطاقة عبور إلى أعماق تلك المجتمعات. وقد أصبحت تلك القصيدة نصاً يصنع الكثير من الأصداء حوله.

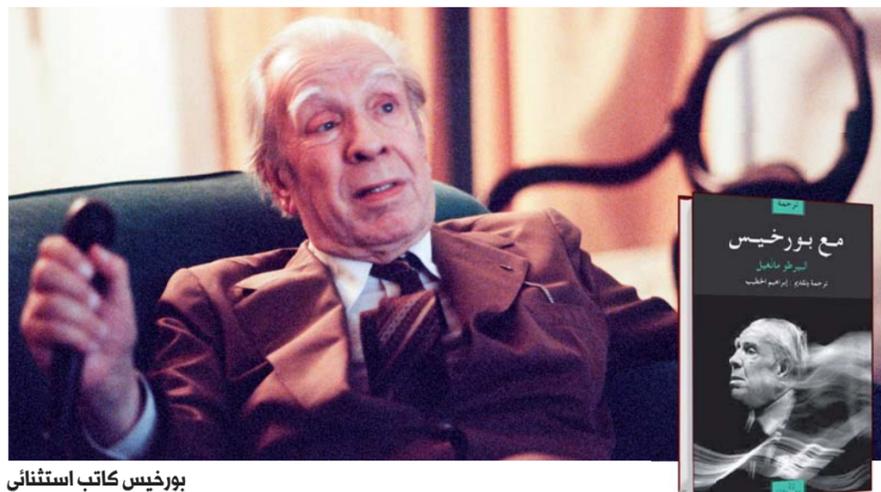
وفي استطلاع آخر استحضر شعراء الموسم التاسع من "شاعر المليون" مجموعة آراء مؤثرة للجنة تحكيم البرنامج، اختصت بمشاركة شعراء وقصائدهم وكذلك حضورهم الشعري في البرنامج. كما استعد شعراء آخرون عدداً من الأسماء الشعرية التي لم تأخذ حقها في الظهور، عبر استطلاع أضاء على تجارب شعرية كانت تستحق مساحة أكبر من التي أتاحت لها. وضم العدد أربعة حوارات، إضافة إلى أخبار متنوعة لانشطة دائرة السياحة والثقافة - أبوظبي، وأخبار عن إصدارات أكاديمية الشعر، منها إصدار جديد بعنوان "عجائبيات العرب.. متابعة لطائفة من أساطير العرب وتحليلها"، للناقد عبد الملك مرتاض، وغيرها من المواد.

أبوظبي - صدر عن أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، العدد 164 من مجلة شاعر المليون، الذي سلط الضوء على حضور القصيدة النبطية في المشهد الأدبي العربي، وأدوات انتشارها. كما ضم عدداً من المقالات المتنوعة، وقصائد نبطية وفصيحة لعدد من نجوم برنامجي شاعر المليون وأمير الشعراء.



العدد ضم استطلاعات آراء الشعراء حول رهن الشعر إضافة إلى حوارات ونصوص شعرية نبطية وفصيحة

وأشارت افتتاحية العدد إلى الحراك الشعري الذي يحدثه برنامج شاعر المليون بعد نهاية كل موسم من مواسمه،



بورخيس كاتب استثنائي